

# معركة الفصحى والعامية في الصين

## توحيد اللهجات الإقليمية لمواكبة الركب العالمي

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

نالعاميات كانت مختلفة تبعا لاختلاف القوميات البالغ عددها خمسين (عدها السياسي لا يتجاوز احدى وعشرين قومية) .

وقد تكونت اللغة الصينية الحديثة من ثلاثة عناصر : الكتابة القديمة والعامية المستعملة واللغة الدخيلة وعناصرها الضئيلة تستمد من اليابانية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية بسبب تعاقب التأثيرات الاستعمارية على هذه المنطقة في مختلف العصور وقد دخلت الى الصينية الفاظ غريبة عن طريق الانجليزية مثل اريكة وصافا اي متكأ من الصوف Sofa (1) بينما اثرت الهندية عن طريق النحلة البوذية .

وقد انطبعت مسطرة العمل بطابع شيوعي تجلى في منهاج التوحيد المكون من ثلاثة مقومات .

(1) مقاومة النظام الرجعي في تطوير اللغة بتركيز كل تطوير على الوعي الوحدوي الجماهيري

(2) توحيد اللغة على اساس التقريب بين الجماهير وتوحيد الثقافات الاقليمية .

(3) اتخاذ اللهجات المحلية وخاصة الشمالية اساسا للفصحى مع اقتباس اصول النحو مما وضعه العلماء المحدثون في كتاباتهم بعد الثورة كمتألات ماوتسي تونغ المختارة .

بعد اقتبال رئيس الاكاديمية العلمية الصينية للسيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب خلال رحلته الى الصين الشعبية في العام الماضي انعقدت جلسات عمل مع اعضاء في الاكاديمية الصينية لدرس المناهج والاساليب التي يسلكها اللغويون الصينيون لحل مشاكل اللغة والكتابة والحروف وتوحيد اللهجات الجهوية وتحقيق التوازي بين اللغة الصينية الحديثة واللغات العلمية المعاصرة وقد طلبنا من السيد الامين العام الانضاء بارتساماته حول هذا العمل الضخم فقال :

ان ابتداء اللغة الكتابية الصينية يرجع تاريخه الى ما بين الفين وثلاثة آلاف من السنين والغاية التي يستهدفها علماء اللغة الآن والتي ينكبون منذ نحو اربعة عقود من السنين على انجازها هي توحيد اللهجات ومفرداتها والقواعد النحوية وتمكينها من مواكبة ركب الحضارة . ومعلوم ان الفصحى الصينية اثبتت عن العامية بعكس ما وقع للغة العربية وكان لغويو الصين قد طلبوا منذ نحو مائة سنة بالاستعاضة عن العامية وتوحيد اساليبها فلم يأت للمشروع ان يحقق الا ابتداء من عام 1919 حيث شرع في وضع اساس اللغة الحديثة على اساس اللهجات الدارجة وكان الضابط الاساسي لهذه العملية هو ضمان التقارب والتواكب بين لغة العلماء ولهجات الشعب

(1) بالاضافة الى التأثير العربي عن طريق التجار المسلمين الذين اثروا في المجتمع الصيني عامة وفي الاوساط الصينية الاسلامية خاصة .

الخطوط للاستعاضة عنها بحروف الفبتائية وعددها خمسة وعشرون حرفا في اللغة الصينية 3000 من الخطوط الاساسية اي اول الكلمات المفردة)

ومعلوم ان طريقة الخط هي عبارة عن الرسوم الصينية الحرفية التي سيستعاض عنها بالحروف اللاتينية .

3) توحيد اللغة وتميم الفصحى الحديثة

مسطرة تأليف المعجم :

وتع الشروع في تأليف المعجم الجديد عام 1955 (بينما يرجع تاريخ اصدار المعجم القديم الى عام 1927) بعنوان « معجم مفردات اللغة الصينية الحديثة » تحت اشراف مكتب تحرير المعجم التابع لكلية بحوث اللغة الصينية الملحقه باكاديمية العلوم الصينية وهو معجم وسيط اساس مصطلحاته اللغة الفصحى الحديثة وهو خاص بالابتدائي والثانوي :

1) الكلمات وهي مجموعة خطوط ليس لها معنى خاص ، فالخط الرسوم هكذا : 人 معناه الشعب ولكن معناه العام هو الانسان في اللغة القديمة وقد احتفظ به .

2) المفردات : تتببس من نشرات وكتب حركة التحرير وخاصة مصنفات ماوتسي تونغ في المستوى المتوسط فقط ولاختيار هذه المفردات ضابطان اثنان يرجع احدهما لتأثير الافكار البروليتارية السياسية الحالية التي هي مظهر للامح الطبقيية مثل الكومونات الشعبية Communes rurales والتفزة الكبرى والفرق الانتاجية والاخرى لفصح النظام القديم بدافع اختيار نقدي على ضوء افكار ماوتسي تونغ فلهذا حمل اللغويون على « تاموس اللغة الوطنية » الذي صدر عام 1933 بدعوى امتلائه بالفاظ مقتبسة من نظام تشانغ كاي شيك لا يوجد من بينها كلمات مثل المقاومة والانتاخذ الوطني فمقياس توحيد اللغة يكن اذن في نظر اللغويين الصينيين المعاصرين فيما يجب ان تعكسه المفردات الجديدة من روح زمنية اي منبثقة عن مبادئ ماوتسي تونغ وعلى هذا الاساس وحده يتم انتقاء المصطلحات والامثال السائسة في العاميات الحديثة وكذلك الجمل التي يضاف اليها شرح للالفاظ الدخيلة المختارة .

والعمل التنسيقي الحالي يسير على نهج محكم فني عام 1956 تأسس مكتب التحرير لتميم الفصحى المشتركة يشتغل فيه نحو ستة عشر شابا جامعييا

وتد تحقق الان تعميم عناصر اللغة الحديثة باستقصاء دراسة العاميات القومية للبحث عن ضابط التقريب بين الدارجة والفصحى فصدرت بحوث في النحو والبلاغة وخاصة المصطلحات التي يتبلور اختيارها في وضع معجم في شكل اداة طيعة بيد الشعب .

### المعجم الصيني الموحد

وخلال الجلسات التي عقدناها في الاكاديمية قدم عضوان في بعض المراكز الجمعية احدهما وهو الاستاذ ليوجيان Liu Jian بحثا حول اللغة الصينية والآخر وهو الاستاذ موهان Mou Heng عرضا حول المعجم مع الاجابة عن كل الاسئلة والملاحظات التي كنا نبديها بين الفينة والاخرى : ونحن نلخص هذين العرضين فيما يلي :

ان وضع معجم صيني يثير مشاكل معقدة تدرج في ثلاثة اقسام :

1) سبب تأليف المعجم الموحد هو تطوير اللغة ضمن الاصلاح الثقافي العام استجابة لقتضيات الوحدة الثقافية بين عناصر الشعب الصيني فالوحدة يجب ان تتم طبقا للوازم العصر ومقتضياته وللأوضاع المتجددة في الصين في حقل الاشتراكية والعلوم والتكنولوجية المعصرية مماضاعف المفردات الحديثة وابطل استعمال مصطلحات قديمة، نعم تتوفر اللغة الصينية على مفردات غزيرة غير انها لا تستجيب لمطالب المجتمع الجديد فلذلك استعيرت مفردات قديمة صالحة وتولدت اخرى حديثة اصبح الشعب يستعملها في مجال التقنيات فتنوعت بذلك معطيات الفصحى الصينية بترجمة مصطلحات التكنولوجية الغربية الحديثة مثل بينيسيلين Penicilline اصبحت تسمى تشين مي سو ومعناها عنصر القضاء على السم والالتهاب وهناك طريق ثان هو نصف ترجمة معنوية ونصف لفظية مثل tracteur بالفرنسية او tora بالروسية صارت طورا - تي Tor-a-ti اي ماكينة .

2) العامل الثاني لتركيز اللغة هو النهوض بالثقافة الاشتراكية على ضوء النهضة الاقتصادية القائمة ونظرا لكثرة الحروف لم يمكن طبع معجم مرتب عليها لهذا رتب معجم جديد على خطوط الكلمة وقد طبع عام 1955 باسم « تاموس الصين الجديدة » في 7000 كلمة في جزء واحد مبسط يجعل في متناول الطلبة والباحثين والعمال ، وقد وقع العدول عن

مع عدد قليل من الخبراء القدامى الذين سبقوا ان ساهموا في وضع المعجم الاول وهناك ايضا خبراء لكل مادة يقومون باختيار ما يتصل باختصاصهم وكلهم طلاب يتخصصون في اللغة بكلية الاداب ويتلقون تكويننا فنيا دقيقا للاضطلاع بمهنتهم ويقوم هؤلاء المتدربون باختيار المواد الاولية المستعملة من :

(ا) المصادر الادبية وخاصة المقالات والابحاث النموذجية الاشتراكية .

(ب) مواد العلوم الاجتماعية مثل كتب مدرسية ابتدائية وثانوية وقراءات مبسطة .

(ج) معارف تكنولوجية .

اما المواد الثانوية فيقتبسونها من المعاجم القديمة كقاموس اللغة الجديدة المطبوع اول عهد التحرير بالاضافة الى المواد الحية المأخوذة من اعماق جماهير الشعب ومن حياته اليومية وعاداته وميوله ومفاهيمه وتعابيرها التلقائية عنها .

وقد انيط هذا العمل الضخم بثلاث فرق جمعت خلال عام واحد 700 000 جزارة (اي بطاقات) اساسية ثم خلال عشر السنوات التالية الى عام 1966 جردت 900 000 جزارة اضافية من المقالات الصحفية والمجلات .

اما اختيار المفردات فانه عملية معقدة تتطلب تحليلا علميا للمفيد وغير المفيد وقد اختير خمسون الف مفرد من سبعمائة الف ثم نتج عن فحص ثمان اذق انتقاء ثلاثة آلاف مصطلح اصنف اليها ستة آلاف اختيرت من التسعمائة الف وهذه الارقام تقريبية .

ولا يتم الاختيار للمصطلحات الاصلاح الا بعد جدال عنيف بين الاعضاء الذين ينتمون لمختلف الاقاليم والقوميات ويمثلون مختلف الاتجاهات وذلك حول مقاييس الاختيار اي موضوعيته او الى الانسيباق مع الايديولوجية البروليتارية كقياس للحكم للفظ او عليه غير ان الاتجاه العام السائد هو ضرورة انعكاس السياسة الاشتراكية والمفاهيم الايديولوجية في تركيز الثقافة الجديدة عن طريق مصطلحات جديدة فالمصطلح المختار وتعريفه يتاثران بمقتضيات المجتمع الطبقي القائم فالروح مثلا تعرف بانها كلمة خرافية وبان رسالة الماركسية التي لا تومن بالاله هي فصح خرافة الروح وقداسة الاديان .

وهاك مثلين آخرين للتدليل على مدى تاثر اللغة وتطورها بالعامل السياسي ذلك ان ملاك الاراضي الذين عرفهم القاموس الوطني القديم بانهم

مالكون للارض يؤجرون فدادينهم للفلاحين في مقابل صاروا يعرفون الان بانهم مالكون لا يشتغلون وانما يعيشون على حساب الفلاحين .

وللتعبير عن الموت مثلا يقال الوفاة وهي موت المحترم سياسيا في حين ان الموت يعبر بها عن وفاة المحترمين من خصوم الاشتراكية .

فاللفظ اصبح محط انعكاس لا للمفهوم العلمي او التاريخي او الحضاري وانما هو مرآة الاتجاه الايديولوجي الجديد .

ويستند اللغويون خاصة على ما يسمونه بحكمة الجماهير فالكلمة الاخيرة هي نظريا للشعب في اختيار اللفظ الصالح .

وهناك لجنة للتبادل مكونة من ثلاثة اعضاء تختارهم اللجان او الفرق الثلاث المذكورة والتبادل هنا معناه اعادة النظر في الجزازات وارجاعها الى رئيس كل لجنة للتحصيل فتعاد الجزازة الى صاحبها الاول للتحري وابداء الرأي من جديد وبعد التصحيح الثاني للجزازات ترجع كل جزازة الى الرئيس العام للفرق الثلاث زيادة في التحصيل ثم تعاد الى واضعها للمرة الثانية لتصحيحها على ضوء التوجيه الجديد وهو التوجيه الناتج عن اتسوال ماوتسي تونغ القائلة بان القاموس له هدف واحد هو الجماهير فينبغي ان يكون عمليا واقعيا مبنيا للشعب اذا اريدت له الحياة فلماذا تكال العمليات السابقة بطبع كل الجزازات في الورق المهترق (ستسيل) لتوزع على الجماهير من رجال التعليم والجامعة وغير الاميين من العمال والجنود .

اما مفردات العلوم التكنولوجية فانها تعرض في نهاية الامر على انظار مؤسسات البحوث العلمية لاتقرارها .

وهكذا يرى لغويو المذهب الصيني الجديد ان اللفظ الحضاري العام يخلقه الشعب ويقره الشعب اما المصطلح العلمي فان انتقائه راجع للاختصاصيين واذا كانت الفكرة طيبة في اساسها لانها تبني تابلية حياة اللفظ على مدى تغلفه في المجتمع واقبال الجماهير عليه فان الايغال في ذلك قد يؤدي الى نوع من الشكليات المصطنعة والحل الوسط الذي نرتبه هو ان العمالية اي اللفظ المتغلغل في احشاء الشعب يجب ان يحسب له حساب في تطعيم الفصحى لما ينتج عن التلقائية الجماهيرية احيانا من روعة فطرية وعمق جبلي ، ولكن اتخاذ ذلك اساسا للعمل قد يؤدي الى موضى لا داعي لها .